النهار
الأربعاء 27 كانون الثاني 2010 – السنة 77 – العدد 23942

ريما صعب و"شارع مونو" بالريشة والعدسة في "المركز الثقافي الفرنسي"

كانت الحياة وديعة هناك ومليئة بالمشاعر والذكريات

(تصوير ناصر طرابلسي)

معرض

كنت افكر، وانا اتوجه الى معرض ريما صعب في "المركز الثقافي الفرنسي"، المتحف، في ان "شارع مونو" دخل التاريخ الحديث مرتين، الاولى عندما اصبح ملتقى الشباب في الليل، ولا سيما ابتداء من مساء كل يوم جمعة، وثانيا بعدما اختارته الفنانة كموضوع رئيسي لصورها الفوتوغرافية ولوحاتها الواقعية. فمحترفها يقوم في ذلك الشارع بالذات، وهي تعرف جيدا كيف كان الشارع ايام الحرب اللبنانية، ومن ثم كيف تحوّل خطوة بعد خطوة ليصير شارعاً مفرغاً من تاريخه، لا يتمسك بهويته ولا حتى بتاريخه.

اعرف "شارع مونو" لأنني أسكن في المنطقة. كنا في الماضي نتبضع بعض الحاجيات منه. لكن الحرب اغلقته علينا. اكتشفناه لاحقاً كشارع تعرضت بناياته لثقوب المدافع والرصاص بفعل الحرب. ثم مرت السنوات، واخذ ينمو ويكبر وتعلو فيه بنايات احتلت مكان البنايات التي من طبقات قليلة وكانت قد عاصرت الذين كبروا في القسم الثاني من القرن العشرين.

وصلت الى "المركز الثقافي الفرنسي". كنت اشعر بشيء من القلق. هل "مونو" هو الشارع الذي عرفناه ونعرف؟ كنت اترقب الواصلين الى المكان. هل هم ايضا عرفوا "مونو" او سكنوه او زاروه؟ اسئلة كثيرة، لا تنتظر اجوبة.

دخلت، فماذا رأيت؟ ها هو "مونو" بشبابيكه الملونة والممسوحة صبغاتها بفعل تقلبات الطبيعة وفقر الحال او الهجرة عنه من جرّاء الحرب. لقد تَركت البيوت على حالها من دون ان تجد من يرأف بها ويهندمها من جديد. وها هي شبابيكها العتيقة تخبر قصصا عن ماضيها. اصحابها تركوها من دون اعادة دهنها. انها خشبية. شكلها يذكّر بالخشب المطقطق والفاقد جماله والصامت، كأنه لا يريد ان يروي حكايات قديمة حدثت داخل الجدران التي هي جزء لا يتجزأ من شهادتها على ما جرى خلال الحرب.

قبضت الفنانة على روح البيوت واشيائها. رسمتها. اخذت صورا منها في حالتها المهترئة. نقلت الشعارات المكتوبة على الحيطان وحرمت بعض البيوت من شبابيكها وابوابها. واقعية هي الاعمال ومحزنة ومغلوب على امرها. ولذلك منحتها صعب مساحات كبيرة على القماش الابيض.

ثم هذه ملصقات على جدران الشارع. وهناك شباك عتيق له "طعمة" زوال السنوات والذكريات. 15 لوحة فيها الكثير من الاخبار، وفيها آثار الاحداث الاليمة التي حصلت. في "مونو" مات البعض، وفيه قام من المعاناة والبؤس كثيرون.

لم تكتف ريما صعب باللوحات التي نقلت الينا ما شاهدته عينها طوال سنوات، بل حملت آلة التصوير والتقطت عدستها صورا فوتوغرافية للشارع وللمشاريع العمرانية وللورش حيث تُهدَم البيوت لتعلو مكانها المباني ذات الشقق الفخمة الطنانة.

راقبت ريما صعب كل ما يجري في الشارع. سجلت ملاحظاتها. التقطت عدستها كما عينها كل ما يخرج على المألوف. غرفت من صميم الحياة النابضة قصصا حزينة وتركت للالوان مهمة نقل الفرح او الحزن الى المتلقي. قد تكون مواضيعها مشتقة مما عرفته او اكتشفته وربما توقعته. لذلك يصبح الشارع الملهم والمسبب والهدف، حتى لو خرجت بعض اللوحات والصور عن صلب الشارع ونقلت صورا عن مواقع وشوارع وامكنة مجاورة او متفرعة منه.

يحمل المعرض، الذي يستمر الى 20 شباط، في طياته ذكريات كثيرة وهو صورة مصغرة لما جابهته وتجابهه المدينة وخصوصاً منطقة الاشرفية حيث نشاهد كل يوم جرافات تجرف بيوتا لها مكانة كبيرة في عيوننا وقلوبنا لكي تبني بنايات وابراجاً لا جمال فيها ولا دفء. نقتل مدينتنا ونفقد تراثنا المعماري ولا نعي ان الحياة داخل البيوت القديمة كانت وديعة ربما لأنها مليئة بالمشاعر في حين أن المباني التي تعلو لتنطح السماء فارغة، لا ازهار على شرفاتها ولا شرفات تنطلق منها زقزقات اطفال يلهون فيها.

ريما صعب قد تعطي امثولة في التعلق بتراثنا وشوارعنا وحكاياتنا التي نحب، وفي الحفاظ على ذاكرتنا الجماعية.

لور غريب

Select info S.A.L.
"Only Your Selected Information"